جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المحاضرة رقم 07 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

مقدم من طرف د. سمير قريد أستاذ محاضر أ إلى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية

نص المحاضرة

في تفسير التداخل بين مجالات العلوم الاجتماعية

سنحاول في هذه المحاضرة تكملة ما تم التطرق إليه في محاضرات سابقة حول التداخل بين تخصصات العلوم الاجتماعية التي تتداخل وتتقاطع في مناهجها وطرائقها لإبراز حقيقة مفادها أن الواقع الاجتماعي متشابك وأنه غير جامد، وهو ما يجعلنا نعي جيدا أن لا قدرة لمنظور معرفي واحد على اكتشاف مختلف التفاعلات والعلاقات التي تسود المجتمع.

إن التداخل بين تخصّصات العلوم الاجتماعية هو تعبيرٌ عن تداخل المجالات نفسها في المجتمع والفكر والثقافة. ولإبراز هذه الحقيقة نورد أمثلة عديدة حول توصّل اقتصاديّين إلى نتائج خاطئة لعدم معرفة الثقافة السائدة في مجتمع ما، وتوصّل علماء اجتماع إلى نتائج خطيرة بإطلاق تعميمات من دون معرفتهم تاريخ المجتمع الذي يدرسونه، ومؤرّخين اختزلوا التاريخ في الصراعات بين الدول والسياسيّين وتعاقبهم على الحكم، وهمّشوا المجتمعات والعلاقات الاجتماعيّة والثقافيّة، وعلماء سياسة لا يقدّمون لنا فهمًا أعمق لما يدور من زملائهم الصحافيّين؛ لأنّهم أهملوا الاقتصاد، والتاريخ، والثقافة عند دراستهم السياسة والعلاقات الدوليّة. كما أنّ ابتعاد هذه التخصّصات جميعها عن الحوار مع الفلاسفة أفقدها شرفات مطلّة على الأسئلة الإنسانيّة الكبرى، وفوّت عليها فرصًا لصياغة الأسئلة المتعلّقة بالبعد الأخلاقيّ للعلوم الاجتماعيّة، وزاوية نظر مختلفة، ومهارات مهمّة طوّرتها الفلسفة عبر تاريخها في شحذ المفاهيم والمصطلحات **(عزمي بشارة، 2017)**.

يمكن التأكيد أن التداخل بين مجالات العلوم الاجتماعية هو تداخل أصبح واضحاً ومسلماً به في السنوات الأخيرة نتيجة تحوّلات عرفتها العلوم الاجتماعية عامة ضمن تأثرها بالسياقات الثقافية والسياسية التي ترافقها. نعطي مثالا عن التداخل المعرفي بين حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، يمكن تقسيم علم الاجتماع إلى توجّهين: علم اجتماع كمّي وآخر كيفي. الأول يقوم على المسوح والاستبيانات والإحصاءات والتقاطعات بين المتغيرات، أي إنه يقوم على أدوات القياس. في الوقت نفسه، يحمل علم الاجتماع نزعة تفهمية بعبارة أحد مؤسسيه، ماكس فيبر، فالهدف منه ليس إنتاج معارف عامة حول المجتمع وإنما فهم ما في ذهن الفاعل الاجتماعي، كسلوكيات الاستهلاك والمواقف السياسية، وهذا يتطلب الدخول إلى أذهان الناس وهو ما يفرض أن يجعلهم يتكلمون، وبالتالي فعلم الاجتماع الكيفي يقوم على سماع الناس وإعادة بناء خطابهم. هذا الشكل من ممارسة علم الاجتماع قريب من الأنثروبولوجيا التي تقوم على الملاحظة المباشرة والحديث مع الناس والغوص في مجتمع ما، وبذلك تقارب علم الاجتماع مع الأنثروبولوجيا خصوصاً ما يسمى بأنثروبولوجيا القرب والتي كان الباحثون الغربيون ضمنها يتركون دراسة المجتمعات الغريبة وانبروا يدرسون مجتمعاتهم، وهكذا قلّ الاهتمام بمواضيع مثل القبيلة وأشكال التضامن التقليدية والظاهرة الدينية، وبدأ الباحثون في الاهتمام بظواهر في أطرهم المكانية والزمانية ذاتها كالرياضة والميول الفنية والسياحة، وهي موضوعات قريبة مما يعالجه علم الاجتماع من ظواهر **(عماد المليتي، 2020)**.

يمكن التأكيد هنا أن ثمة علاقات تداخل واتصال بين العلوم الاجتماعية وهو ما يستدعي استغلال هذا الانفتاح لقراءة الوقائع وبناء المعطيات، فرهان البحث هو ما يوحدها، والاهتمام بالتفاصيل الدالة، المعلنة والخفية هو ما يبرر اشتغالها، كما أن الوقائع الاجتماعية لا يمكن التمكن منها معرفيا بأداء منهجي منغلق على ذاته، وإنما عبر انفتاح وتعدد منهجي عن طريق

الاستعانة بأدوات البحث الكيفي والكمي، فالحاجة ماسة اليوم إلى العلم الاجتماعي المنفتح الذي يستعير مناهجه ومفاهيمه ونظرياته من خلاصات ومناهج ثلة من العلوم الأخرى.

فالتداخل بين تخصصات العلوم الاجتماعية يدعونا إلى استحضار التأكيدات المنهجي الآتية:

1- إن الوقائع كمعان ومبان اجتماعية هي على درجة من التعقيد والتشابك والعلائقية، ما يوجب التعاطي معها بنمط تفكير علائقي، يقر بأهمية كل عنصر ومكون من مكونات هذه العلائقية في القراءة والتفسير.

2- إن منطق التعدد الباصم باستمرار لهذه الوقائع يفترض تعددا في المسالك والسجلات ويفسر موضوعيا بالرجوع إلى التاريخ والتفكير في الماضي والحاضر.

3- إن الوقائع الاجتماعية بما هي وقائع كلية تستلزم علما بالكلي، يتجاوز منطق الاختزالية بل يراهن على قراءات وأدوات ومقاربات قادمة من علوم متعددة وفي مقدمتها السوسيولوجيا والتاريخ والأنثروبولوجيا.

4- إن التفكير العلائقي والطابع الكلي للوقائع الاجتماعية لا يلغي بالضرورة المنظور التخصصي الأصلي الذي تنطلق منه المقاربة، ولا يعد التفكير بالكلي ميررا بأي حال من الأحوال للتفريط في أساسيات البراديغم السوسيولوجي **(عبد الرحيم العطري، 2012: 148)**.

إن التعاضد بين تخصصات العلوم الاجتماعية لا يعني البحث عن القواسم المشتركة بينها بقدر ما يقدم الفضاء الابستيمولوجي الشامل للموضوع المدروس ليعرض فيه المعارف الخاصة وكأنه مسلك جماعي ينشط داخل نسق معرفي واحد، وهو انعكاس لما نسميه اليوم بالمنظومة النسقية في العلوم الاجتماعية التي تقوم على قاعدة الاندماج في نسق معرفي واحد، فيكون بإمكان التخصصات الجزئية والفرعية أن تنتظم في مجموعة أشمل وأوسع ويمكن أن تجتمع في وحدة إدراك وفهم واحدة، الأمر الذي يفتح إمكانية العمل على مقاربة موحدة بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية **(المولدي قسومي، 2018: 38-39)**.

وعلى كل فإن الدعوة إلى التساند الوظيفي بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية نابعة من أن الإنسان محور دراستها، كما أن ظواهر المجتمع ومشكلاته تبادلية التأثير، حيث تقتضي دراستها إلماما بمختلف المناهج والطرائق والمجالات التي يشتغل عليها كل علم من العلوم الاجتماعية، كما يقتضي تعاونا بين مختلف باحثي ومتخصصي تلك العلوم، وهي لاشك مكونات تمتد جذورها في الطبيعة والتاريخ والاقتصاد والثقافة والتربية وغيرها، وهو ما يتطلب الاستفادة المتبادلة من تراث المعرفة الإنسانية عن طريق تبادل فنون وطرق البحث بين تلك العلوم **(صلاح مصطفى الفوال، 1982: 5-6)**

المراجع

1- العطري عبد الرحيم (2012). " العلم الاجتماعي ضدا على الكاست المعرفي من التناص الاجتماعي إلى التداخل التخصصي." **إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)**، العددان 17 و18/ شتاء وربيع.

2- المليتي عماد (2020). **أن نتصالح مع العلوم الاجتماعية.** https://www.alaraby.co.uk/culture/2020/1/28/%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%AA%D9%8A-%D8%A3%D9%86-%D9%86%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD-%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9

3- بشارة عزمي (2017). **تحديات أمام العلوم الاجتماعية والإنسانيات في السياق العربي.** معهد الدوحة للدراسات العليا، 2018/2017. https://www.arab48.com/%D9%81%D8%B3%D8%AD%D8%A9/%D9%88%D8%B1%D9%82/%D9%81%D9%83%D8%B1/2017/11/05/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A

4- صلاح مصطفى الفوال (1982). **علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية علاقات ومجالات وميادين.** القاهرة: عالم الكتب.

5- قسومي المولدي (2018). **المنظمة النقابية لأرباب العمل التونسيين الأطوار والأدوار.** تونس: دار نقوش عربية.

المحاضرة رقم 08 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

نشأة وتطور العلوم الاجتماعية

يشير لفظ studia humanitatis في القرن الخامس عشر إلى 'دراسة الآداب الكلاسيكيّة'، واستخدمه مفكّرو النهضة في المدن الإيطاليّة في وصف الدراسات المتعلّقة بالإنسان وإنتاجه ونشاطه، في مقابل اللاهوت الذي يُعنى بالإلهيّات، وانشقّت العلوم الاجتماعيّة، الواحد منها تلو الآخر، عن الفلسفة وكتابة التاريخ، بعد التحوّل إلى الرأسماليّة **(عزمي بشارة، 2017)**.

وقد أوضحت العلوم الاجتماعية منذ القرن التاسع عشر أهدافها ودونت أساليبها. وهي جزء من تاريخ اتسم بقوة صعود الفردية الديمقراطية والثورة الصناعية، إلى درجة أن بعضها – مثل علم الاجتماع – يمكن النظر فيه أولا على أساس علاقتها بالسياسة، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت في القرن الماضي. كما أن المفهوم الذي شكل عن الأجناس البشرية خلال نفس الفترة لا ينفصل عن مؤسسات الهيمنة التي تقودها الأمم الغربية في مختلف أنحاء العالم؛ فهو يتسم بالانحياز العرقي والاهتمام بالشرعية. وعلى هذا فقد أصبح التاريخ السياسي سبباً في تمهيد الطريق أمام التاريخ الاجتماعي **(B.valad et R.filleule ,1996 :30)**

شهد القرن 19 الأوروبي ظهور تخمينات بارزة حول الحلول الممكنة لعلاج الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما هيأت الثورات السياسية والتقلبات الصناعية وثورات العمل العلمي الظروف لبروز العلوم الاجتماعية، وتحولت بذلك الاهتمامات الكلاسيكية لفلسفة الأنوار المطبوعة بالعقلانية العامة وتقدم العقل والقانون الطبيعي، وهو ما أسهم في بروز العديد من المفكرين الاجتماعيين من التخصصات القانونية (مثل توكفيل وماركس وفيبر) أو الفلسفة (مثل زيمل ودوركايم) أو العلمية (مثل أوجست كونت متعدد الاختصاص، ولوبلاي وسبنسر وباريتو وكلهم مهندسون) **(جان بيار دوران وروبير فايل، 2012: 29)**.

كما كان لهذه التحولات الأثر البارز في إعطاء نظرة جديدة حول الظواهر الاجتماعية التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

1-بروز مبحث الدولة القوية والمركزية ومثال ذلك التطلعات الوطنية في إيطاليا وألمانيا في الإمبراطورية النمساوية المجرية.

2-ظهور أشكال تنظيم للطبقة العمالية وتزايد التناقضات الاجتماعية حيث رأت الطبقة البرجوازية منذ توليها السلطة في الطبقة الكادحة تهديدا لها.

3-ميلاد الاشتراكية كفلسفة اجتماعية جديدة.

4-ضرورة توسيع تفكير اجتماعي على منوال النمط العلمي بفضل العلوم الاجتماعية.

وقد واكبت عمليات تشكل موضوعات العلوم الاجتماعية في الفكر الغربي صيرورة مجتمعية محددة، محكومة من جهة بتطور نمط الإنتاج الرأسمالي ومن جهة أخرى بتطور المجتمع والأنظمة السياسية، وتم كل ذلك في أفق مزيد من دمقرطة الحياة السياسية، كما تم في سياق من تطور المعرفة نتيجة المتراكمات التي بلورها تاريخ الأفكار الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذا تطور المعارف العلمية في مجالي الطبيعة والرياضيات، ثم في مجالات الطب والفلك والتاريخ، وهو الأمر الذي ترك بصماته جلية في باب بناء المناهج والآليات المطابقة لكيفيات مواجهة الظواهر الإنسانية، من أجل تشريحها وفحصها، ثم بناء موضوعاتها بالأدوات التي تسعف بالتملك العلمي للمعطيات، واستخلاص النتائج والقوانين المترتبة عن كل ذلك **(كمال عبد اللطيف، 1999)**.

من هذا المنطلق، فإن نشأة العلوم الاجتماعية وتطورها مرتبط بالحداثة الغربية وبأنساقها المعرفية المتولدة من النموذج المعرفي الغربي، فيرى " ألفيرو بايرس" أن هناك ثلاث عناصر ابستيمولوجية أثرت في تطور العلوم الاجتماعية:

1-اكتمال نسق العلم الطبيعي في الحقل المعرفي الغربي.

2-سعى المفكرون الغربيون إلى إيجاد علوم اجتماعية تتوسط العلوم الطبيعية والفلسفة.

3-تسعى العلوم الاجتماعية لاكتشاف العالم الموضوعي للواقع الاجتماعي **(عبد الحليم مهورباشة، 2018: 41)**.

لقد وجدت العلوم الاجتماعية نفسها منذ نشأتها تتردد بين موقفين مختلفين تجاه الدراسة العلمية للظواهر الإنسانية، الموقف الأول يقوم على الطبيعة أي موقفا موضوعيا سببيا ينزع إلى العلم ويتزعمه كل من ستيورات ميل، وأوغست كونت الذين سعيا إلى بناء فيزياء اجتماعية حقيقية على منوال العلوم الفيزيائية والكيميائية، وهو ما ألهم عددا هائلا من المفكرين في العلوم الاجتماعية كالاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية والديموغرافيا والأنثروبولوجيا.

أما الموقف الثاني فقد ظهر كرد فعل على الأول وقد مثله عددا من المفكرين الألمان مثل فيبر، سيمال، ريكت، هاياك، الذين اجمعوا على تفرد العلوم الاجتماعية لأنها تتصل بالإنسان بوصفه الموضوع والذات معا **(جان فرنسوا شانلا، 2004، 26-28)**.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، استعادت العلوم الاجتماعية الاهتمام بالمركزية الإنسانية التي لا تنضبط مع النموذج المنهجي للعلوم الطبيعية، فأعيد الاعتبار إلى المعنى أي القيمة والتفكير النقدي الفاعل والإصرار البشري باعتبارها عوامل مؤثرة في صيرورة المجتمعات الإنسانية، وكان لذلك أثر واضح في تطوير علم الاجتماع والعلوم السياسية والأنثروبولوجيا **(إيليا زريق، 2020: 62)**.

يمكن القول إن العلوم الاجتماعية قد نشأت وتطورت في قلب التحولات التاريخية في الغرب فواكبتها وساهمت في اكتمالها وأثرت في اتجاهها واستجابت لظواهر التشكل الاجتماعي والاقتصادي كتكون الطبقات وانتظام المصالح في أحزاب واتجاهات الرأي في تيارات فكرية ومن الممكن رؤية العلاقة بين مؤسسي النظريات الاجتماعية الكبرى من جهة وخصائص مراحلهم ومجتمعاتهم (كأن نربط مثلا بين النهوض العلمي والصناعي ووضعانية أوجست كونت من جهة أخرى، وبين التشكل الطبقي والمادية التاريخية لدى كارل ماركس، وبين الثورة الثقافية الطلابية في أوروبا من جهة والوعي الاجتماعي لأزمة الحداثة لدى ماركوز وتوران من

جهة أخرى، وواضح أن التحولات العميقة في المجتمعات الغربية عبر التاريخ كانت تترافق أيضا مع تحولات في نماذج المعرفة والنظريات العلمية ومناهج البحث ونظرياته، وهو ما أسهم في تطوير العلوم الاجتماعية من حيث الممارسة العلمية استيعابا ونقدا ومحاولة تجاوز لما هو قائم في طريقة النظر إلى الأشياء والكون والمجتمع والبشر والتاريخ والدعوة إلى الجديد (المولدي قسومي، 2019: 376-378).

المراجع

1- إيليا زريق (2020). " قضايا في تطور العلوم الاجتماعية في العالم العربي." **عمران** (الدوحة)، العدد 8/31 شتاء.

2- بشارة عزمي (2017). **تحديات أمام العلوم الاجتماعية والإنسانيات في السياق العربي**. معهد الدوحة للدراسات العليا، 2018/2017.
https://www.arab48.com/%D9%81%D8%B3%D8%AD%D8%A9/%D9%88%D8%B1%D9%82/%D9%81%D9%83%D8%B1/2017/11/05/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A

3- جان فرنسوا شانلا (2004). **العلوم الاجتماعية وإدارة الأعمال دعوة من أجل اعتماد أنثروبولوجيا شاملة**. ترجمة محمد هناد. الجزائر: دار القصبة للنشر.

4- جان بيار دوران وروبير فايل (2012). **علم الاجتماع المعاصر**. ترجمة ميلود طواهري. الجزائر/ بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع، دار روافد الثقافة-ناشرون.

5- كمال عبد اللطيف (1999). **تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر الشروط المعرفية والتاريخية**. https://www.aljabriabed.net/n18_02kamal.htm

6- مهورباشة عبد الحليم (2018). **علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس نحو علم العمران الإسلامي**. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

7- قسومي المولدي (2019). **نهاية الجامعة أو ما بعد المعرفة الأكاديمية**. في: المولدي قسومي وحمدي أونينة (وآخرون)، **الجامعة المواطنية**. تونس: منشورات مؤسسة روزا لوكسمبورغ.

8- Benard Valad et Renaud Fillieule (1996). **Introduction aux sciences sociales**. Paris : presses universitaires de France.